من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الرسالة الرابعة

الفتوحات

مقدّمة

تدورُ الرِّسالةُ حولَ بعضِ المَعارفِ النَّفيسةِ المُتعلِّقةِ بأحوالِ القلوبِ وتزكيةِ النَّفسِ ، والَّتي سمَّاها ناسخُها : « فُتُوحاتٍ » ؛ فقالَ : (فهٰذه الفُتُوحاتُ مِن كلامِ الشَّيخِ العارفِ الواصلِ لسانِ الحقِّ والحقيقةِ ، بُرهانِ الشَّريعةِ والطَّريقةِ ، شِهابِ المِلَّةِ والدِّينِ ، عُمَرَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السُّهرَوَرْدِيِّ ، قدَّسَ اللهُ نفْسَهُ ، ورَوَّحَ رَمْسَه ؛ ممَّا فَتَحَ اللهُ سبحانَهُ بهِ) .

تشتملُ الرِّسالةُ علىٰ أبوابٍ مُتعدِّدةٍ : فقدْ تَكلَّمَ فيها السُّهروردِيُّ على الرُّوحِ والنَّفسِ ، وبحَثَ مسألةَ العَقلِ ، وهلْ هو في الدِّماغِ أو القلبِ ، كما تَضمَّنَت كلماتٍ عن كيفيَّةِ التَّخلُّصِ مِنْ كَدَرِ النَّفسِ ، وكيفيَّةِ تَدبُّرِ القرآنِ ، وأَثَرِهِ في القلوبِ ، وتَكلَّمَ عن أنوارِ المُشاهدةِ وأَثَرِها في حالِ الذَّاكرِينَ ، وحالِ المُحبِّينَ مع ربِّهم ، وأنواعِ الخواطرِ الَّتي تَرِدُ على القلوبِ ، وأَثَرِ الصِّدقِ في فتحِ بابِ العلومِ والإلهاماتِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الفُتُوحاتِ الَّتي فُتِحَ بها على الشَّيخِ السُّهروردِيِّ ، فصاغَها ببيانِهِ العَذبِ ، ممزوجةً بأنفاسِهِ الصُّوفيَّةِ العَطِرةِ .

والَّذي يَظهَرُ واللهُ أعلَمُ : أنَّ هٰذه الفوائدَ ليسَتْ مِن جمعِ السُّهروردِيِّ وإن كانَتْ مِن كلامِهِ ، بلْ جَمَعَها مِنْ كُتُبِهِ بعضُ مَنْ جاءَ بعدَهُ ، كما في الفتحِ الذي صُدِّرَتْ بهِ الرسالةُ ؛ فإنَّهُ مأخوذٌ باختصارٍ وتهذيبٍ مِن كتابِهِ « عوارفُ المَعارفِ » ، أو لعلَّها مِنْ جَمعِ أَحَدِ تلاميذِهِ ومُريدِيهِ .

ويَبدُو أنَّ ناسخَ الكتابِ هو الَّذي سَمَّىٰ هٰذه الفوائدَ بـ « الفُتُوحاتِ » ، ويَبدُو كذٰلكَ أنَّهُ تأثَّرَ في اختيارِ الاسمِ بطريقةِ الشَّيخِ مُحيي الدِّينِ بنِ عربيٍّ (ت ٦٣٨ هـ) في تسميةِ كتابِهِ بـ « الفُتوحات المكِّيَّة » .

وجديرٌ بالذِّكرِ أنَّ الشَّيخَ السُّهرورديَّ قدْ لَقِيَ الشَّيخَ مُحيِيَ الدِّينِ واجتمَعَ به[1]، ويَغلِبُ على الظَّنِّ أنَّهُ طَالَعَ «الفُتوحاتِ» في نُسختِها الأُولىٰ[2]، فقدْ يكونُ تأثَّر في بعضِ ما كَتَبَهُ وأفادَ منهُ، ولا نستطيعُ أن نَجزِمَ بمَدَىٰ هٰذا التَّأثُّرِ.

(١) ينظر: «الإرشاد والتطريز» لليافعي (ص ١٥٦)، وفيه حكايةُ اجتماعهما وما جرىٰ فيها.

(٢) وهي التي ابتدأها الشيخ ابن عربي بمكة في سنة (٥٩٩ هـ)، وفرغ منها في سنة (٦٢٩ هـ)، أي: قبل وفاة الشيخ شهاب الدين السهروردي بسنتين؛ لأن السهروردي توفي ليلة غرة محرم سنة (٦٣٢ هـ)، كما تقدم في ترجمته (ص ٢٢)، وأما النسخة الثانية فقد ابتدأها في دمشق سنة (٦٣٢ هـ)، وانتهىٰ منها سنة (٦٣٦ هـ).

ينظر مقدمة عثمان يحيىٰ في تحقيقه على «الفتوحات» لابن عربي (١/٢٠)، ط. الهيئة العامة للكتاب بمصر، سنة: (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

مخطوطٌ بمكتبةِ السُّليمانِيَّةِ بإستانبول ، مكتبة شهيد علي باشا ، رقم (١/١٣٨٢) ، الأوراق (٢ ـ ٨) .

ورمزتُ لها بـ : (أ) .

وهناك نسخةٌ أخرىٰ في المكتبة بنفس المجموع الذي فيهِ « رسالةُ الإرادةِ » برقم (٦/١٣٩٣) ، الأوراق (٦٩ ب ـ ٧٣ أ) .

ورمزتُ لها بـ : (ب) .

واستأنستُ بمخطوطةٍ صغيرةٍ تُسمَّى : « اللَّوامِعُ الغَيبِيَّةُ في الرُّوحِ » ، وهي الرِّسالةُ نفسُها بعنوانٍ آخرَ وناسِخ مختلِف مجهول لم يذكَر اسم المخطوطة علىٰ غلافها ، وهي في مكتبةِ السُّليمانِيَّةِ بإستانبول أيضاً ، بغداد تلي وهبي ، رقم المجموعة (٠٣٢ ـ ٠٢٠٢٣) ، الأوراق (١٨٨ ـ ١٨٩) صدَّرها النَّاسِخُ بقولِه : (ربِّ أنعمتَ فَزِد بلُطفِكَ ، قالَ خاتِمُ الأولياءِ إمامُ الهدىٰ مُقتَدى الوَرَىٰ شِهابُ الدِّينِ شيخُ الإسلامِ والمسلمينَ قدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ممَّا فتحَ اللهُ عليه ؛ وهي : اللَّوامِعُ الغَيبِيَّةُ في الرُّوحِ) .

نماذج من صور المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على الآية والصلوة والسلام على خاتم انبيائه
اما بعد فهذه الفتوحات من كلام الشيخ العارف
الواصل لسان الحق والحقيقة برهان الشريعة والطريقة
شهاب الملة والدين عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي
قدس الله نفسه وروح رمسه مما فتح الله سبحانه به
وهي قوله سبحانه (ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) الروح العلوي
السماوي من عالم الامر والروح الحيواني البشري الآدمي
محل ذلك وموردة الروح العلوي فيكون النفس اذاً
من الروح العلوي وتكون النفس من الروح العلوي
في عالم الامر فتكونان حواء من آدم في عالم الخلق وصارا
من التالف كما بين آدم وحواء قال الله سبحانه (وجعل منها زوجها

نسخة مكتبة شهيد علي تركيا (أ)

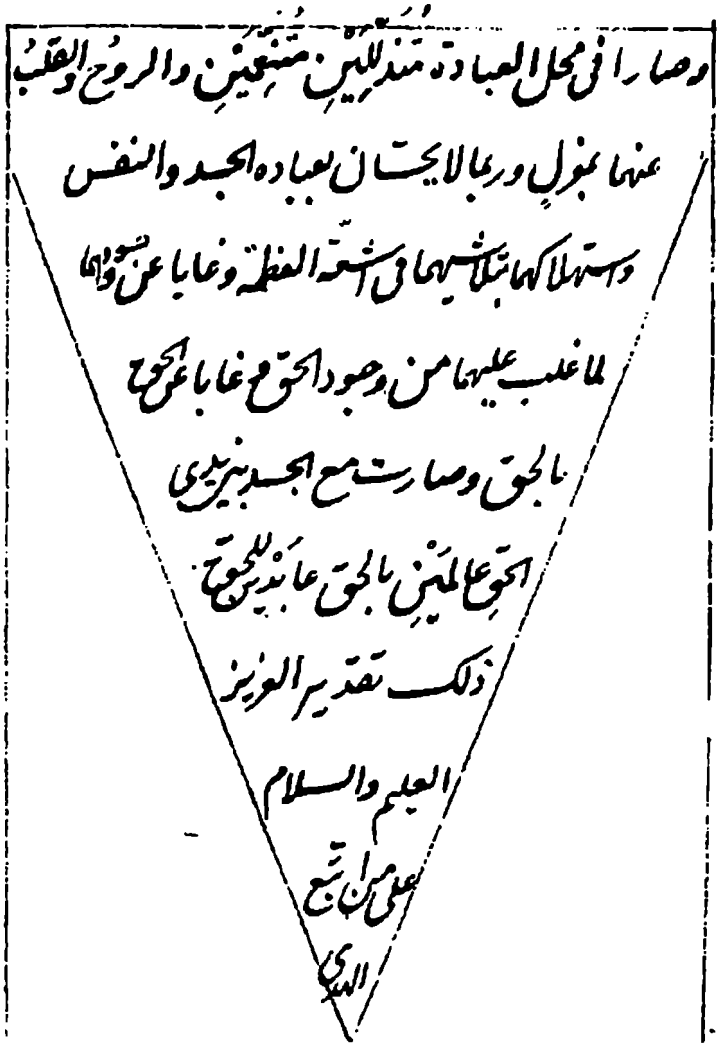
وصارا في محل العبادة متذللين متضعين والروح والقلب
عنها بمعزل وربما لا يحتاجان بعبادة الجسد والنفس
واستهلاكهما بتلاشيهما في شعة العظمة وغابا عن شهودهما
لما غلب عليهما من وجود الحق وغابا عن الحق
بالحق وصارت مع الجسد بين يدي
الحق عالمين بالحق عائدين للحق
ذلك تقدير العزيز
العليم والسلام
على من اتبع
الهدى

نسخة مكتبة شهيد علي تركيا (أ)

نتوج من كلامه

كلمات سنحت من انوار فضل الحق اثبتها لانتفع بمطالعتها
وينتفع بها من يطالعها ان شاء الله تعالى

للناس في التخليص من اكدر صفات النفس واخلاقها طريقان
طريق الابرار وطريق المقربين فاما طريق الابرار اذا
تحركت النفس بصفتها وطبعت باخلاقها من الحقد والحسد
والغل والاستشعار والكمد على فوات الحظوظ العاجلة
والى غير ذلك يسوسون حالهم بالعلم ويسلكون طريق
الرضى بالقضاء والتسليم لما يقتضيه المولى فيكشف عنهم بعد
ذلك ويتنسمون الروح الذي يزول بظهوره تلك الصفات
والاخلاق اولئك ينادون من مكان بعيد ولكل اقاموا
حق العبودية وادوا وظيفة المقام الذي اقيموا فيه

نسخة مكتبة شهيد علي تركيا (ب) ضمن مجموع فيه « رسالة في الإرادة »

ويكون دايم التجأ الى الله تعالى وقد يفتح على العبد ضرب
من العلوم الدقيقة التي لا يوجد جنسها مسطورا غير أن نفعها
ما ذكرناه ثم للصادق أن لا يغتر بما يفتح عليه وغيره بل لا يزال
يخرج من الإلهام الى الفهم ومن العلوم الى المعلم ولا يلتفت الى
الإلهام ليتجوهر الإلهام فيه ويتجوهر فيه بصير قوله تعالى ومتى اصغى الى الاصغاء استلبه الالهام وسلمه الى الفكر والتعب
عن طي الغيب والحط الى عالم الشهادة وتقييد باشارات العقول
ثم قال رحمة الله عليه وطريق الوصول في الالهام أن تعلم
أن منشأ الالهام ماذا وهو أن الصادق قد يسترسل في المخالطة
والممازجة والخوض فيما لا يعنيه ومع ذلك لا يغيب عن الحق بباطنه
فيثور من تلك المخالطة والممازجة وجود النفس مشاكل لهذه
الثائرة من الارض التي يثار منها غبار هكذا يصير للنفس
بالمخالطة وجود ثان فاذا رجع الصادق الى خلوته وتذكر
جمعيته وقع نور الجمعية على ذلك الوجود الثاني فيثور
فيصير الهاما في تتمته حديث النفس منقلب الهاما نور
جمعية للواقع عليه وهذه غريبة عزيزة ٥

نسخة مكتبة شهيد علي تركيا (ب) ضمن مجموع فيه « رسالة في الإرادة »

الفتوحات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ علىٰ آلائِهِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ خاتَمِ أنبيائِهِ .

أما بعد :

فهٰذه الفُتُوحاتُ مِنْ كلامِ الشَّيخِ العارفِ الواصلِ ، لسانِ الحقِّ والحَقِيقَةِ ، بُرهانِ الشَّريعَةِ والطَّريقَةِ ، شِهابِ المِلَّةِ والدِّينِ ، عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السُّهرَوَرْدِيِّ قدَّسَ اللهُ نفْسَهُ ، ورَوَّحَ رَمْسَهُ[1] ؛ ممَّا فَتَحَ اللهُ سبحانَهُ بهِ ؛ وهي :

قولُهُ سبحانَهُ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] .

الرُّوحُ العُلْوِيُّ السَّماوِيُّ مِنْ عالَمِ الأمرِ ، والرُّوحُ الحَيوانِيُّ البَشرِيُّ الآدَمِيُّ مَحَلُّ ذٰلكَ ، ومَوردُهُ الرُّوحُ العُلوِيُّ ؛ فتَكوُّنُ النَّفْسِ إذاً مِنَ الرُّوحِ العُلوِيِّ ، وتَكوُّنُ النَّفْسِ مِنَ الرُّوحِ العُلوِيِّ في عالَمِ الأمرِ ؛ كتَكوُّنِ حوَّاءَ مِنْ آدمَ في عالَمِ الخلقِ ، وصارَ بينَهُما مِنَ التَّأليفِ كما بينَ آدمَ وحوَّاءَ ، قالَ اللهُ سبحانَهُ : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[3] فسَكنَ ، وسَكنَ الرُّوحُ العُلوِيُّ إلى النَّفسِ ، وسَوَّى اللهُ النَّفْسَ لذٰلكَ ، وجعلَها مَسكناً للرُّوحِ .

ويكونُ مِن سُكونِ الرُّوحِ إلى النَّفْسِ القلبُ ؛ كتَكَوُّنِ الذُّرِّيَّةِ مِن آدمَ وحَوَّاءَ ، ولولَا المُساكَنَةُ بينَهُما . . ما كانَ القلبُ .

فمِنَ القلوبِ مُتطَلِّعٌ إلى الأبِ الَّذي هو الرُّوحُ العُلوِيُّ مَيَّالٌ إليهِ ؛ وهو القلبُ المؤيَّدُ الَّذي ذكرَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في تَقسِيمِه القلوبَ ، ومِنَ

---

(١) الرَّمْسُ : تراب القبر . « الصحاح » (٩٣٦/٣) ، والمعنىٰ : آنسَ رُوحَه وطيَّبَها في وحشتِها .

(٢) سورة الإسراء : (٨٥) ، وفي الأصل : (يسألونك) من دون حرف الواو .

(٣) سورة الأعراف : (١٨٩) .

القلوبِ مَنكُوسٌ مَيَّالٌ إلى الأُمِّ ، ومِنَ القلوبِ مُتَرَدِّدٌ في مَيلِهِ إليهما ، وبِحسَبِ غَلَبَةِ المَيلِ يكونُ حُكمُهُ[1] .

والعقلُ : جَوهَرُ الرُّوحِ العُلوِيِّ ، ولسانُهُ دالٌّ عليهِ ، وتَدبيرُهُ للقلبِ المؤيَّدِ ، وللنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ المطمَئِنَّةِ . . تَدبيرُ الوالِدِ للوَلَدِ البارِّ والزَّوجَةِ الصَّالحَةِ ، وتَدبيرُهُ للقلبِ المنْكوسِ والنَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ . . تَدبيرُ الوالِدِ للوَلَدِ العاقِّ والزَّوجَةِ السَّيِّئَةِ ، فمُنكِرٌ مِن وَجهٍ ، ومُنْجَذِبٌ إلىٰ تَدبيرِهِما مِنْ وَجهٍ ؛ إذْ لا بُدَّ لهُ مِنهُما .

وقولُ القائلِينَ واختِلَافُهم في مَحلِّ العقلِ : فقائلٌ : إنَّ مَحلَّه الدِّماغُ ، وقائلٌ : إنَّ مَحلَّهُ القلبُ . . كلامُ الغائبينَ عن دَرَكِ حقِيقَةِ ذٰلكَ[2]

واختِلافُهم في ذٰلكَ لعدَمِ استِقرارِ العقلِ علىٰ نَسَقٍ واحدٍ ، وانجِذابِهِ إلى البارِّ تارَةً ، وإلى العاقِّ أُخرىٰ ، وللقلبِ والدِّماغِ نِسبَةٌ إلى البارِّ والعاقِّ ، يَنكشِفُ ذٰلكَ للواقِفِ علىٰ سِرِّ خَلقِ الدِّماغِ ونِسبَةِ الرُّوحِ منهُ ، وسِرِّ القلبِ ونِسبَةِ الرُّوحِ منهُ ، وهو اللَّحمُ الصَّنَوبَرِيُّ مِنْ عالَمِ الخَلْقِ ، غيرُ القلبِ المكوَّنِ مِنَ الرُّوحِ والنَّفْسِ في عالَمِ الأمرِ .

فالرُّوحُ العُلوِيُّ : يَهُمُّ بالِارتِقاءِ إلىٰ مَولاهُ شَوقاً وحُنُوّاً وتَنَزُّهاً عَنِ المُكوَّنَينِ

---

(١) أخرج أحمدُ في « المسند » (١١١٢٩) من حديث سيدنا أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه : أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلَّم قال : « الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَىٰ غِلَافِهِ ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ ؛ فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ : فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ : فَقَلْبُ الْكَافِرِ ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ : فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ ، عَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ : فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَىٰ غَلَبَتْ عَلَيْهِ » .

(٢) قال الرازي في « مفاتيح الغيب » (٤١/٢٢) : (وجمهور المتكلمين علىٰ أنه القلب) .

وقد أكثر العلماءُ من الكلام في مسألة محل العقل : أفي القلب هو أم في الدماغ ؟ فلتراجع أقوالُهم وأدلةُ كلِّ قول في : « العُدَّة في أصول الفقه » (٨٩/١) ، و« الواضح في أصول الفقه » لابن عقيل (٢٧/١) ، و« البحر المحيط » للزركشي (١٢٣/١) ، وفي تفسير « مفاتيح الغيب » (٥٣١/٢٤) للإمام فخر الدين الرازي مبحث ماتع مطول حول المسألة ، فلينظر .

منهُ ؛ اللَّذَينِ هُما القلبُ والنَّفْسُ ، وإذا ارتقَى الرُّوحُ . . يَحنُو القلبُ إليهِ حُنُوَّ الوَلَدِ الحانِّ البَارِّ إلى الوالِدِ ، وتَحنُو النَّفْسُ إلى القلبِ الَّذي هو الوَلَدُ حُنُوَّ الوالِدَةِ الخبيثةِ[1] إلىٰ ولَدِها ، وإذا حنَّتِ النَّفسُ . . ارتقَتْ مِنَ الأرضِ ، وانزَوَتْ عُروقُها الضَّارِبَةُ في العالَمِ السُّفلِيِّ ، وانكوَىٰ هَواها ، وانحَسَمَتْ مادَّتُها ، وزَهِدَتْ في الدُّنيا ، وتَجافَتْ عن دارِ الغُرورِ ، وأنابَتْ إلىٰ دارِ الخُلودِ .

وقدْ تَخلُدُ النَّفسُ الَّتي هيَ الأُمُّ بوضعِها الجِبِلِّيِّ لتَكوُّنِها مِنَ الرُّوحِ الحَيَوانِيِّ ، ولٰكنْ تَحبَّسَ فصارَ نفْساً ، وإخلادُها إلى الأرضِ ؛ لأنَّها في تَكوُّنِها مُستَنِدَةٌ إلى الطَّبائعِ الَّتي هيَ أركانُ العالَمِ السُّفليِّ ، قالَ اللهُ سبحانَهُ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[2] ، فإذا أخلَدَتِ النَّفسُ الَّتي هيَ الأُمُّ إلى الأرضِ . . انجَذَبَ إليها القلبُ المنكوسُ انجِذابَ الوَلَدِ المَيَّالِ إلى الوالِدَةِ المُعوَجَّةِ النَّاقصَةِ ، دونَ الوالِدِ الكامِلِ المستَقِيمِ .

ويَنجَذِبُ الرُّوحُ إلى الوالِدِ الَّذي هو القلبُ ؛ لِمَا جُبِلَ عليهِ مِنَ الحُنُوِّ إلى الولَدِ ، فعندَ ذٰلكَ يَتَخلَّفُ عن مولاهُ ، وفي هٰذينِ الِانجذابَينِ يَظهَرُ حُكمُ السَّعادَةِ والشَّقاوَةِ ؛ فتبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخالقينَ .

---

(١) في (أ) : (الحانَّة) .

(٢) سورة الأعراف : (١٧٦) .

فتوحٌ من كلامه

[في طريقِ التخلُّصِ من كدرِ النفسِ]

كَلِماتٌ سَنَحَتْ مِنْ أنوارِ فضلِ الحقِّ أُثبِتُها لأنتَفِعَ بمُطالعَتِها ويَنتَفِعَ بها مَنْ يُطالِعُها إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

للنَّاسِ في التَّخلُّصِ عن كَدَرِ صفاتِ النَّفسِ وأخلاقِها طريقانِ :

طريقٌ للأبرارِ .

وطريقٌ للمُقرَّبينَ .

فأمَّا طريقُ الأبرارِ : إذا تحرَّكتِ النَّفسُ بصِفَتِها ، وظَهرَتْ بأخلاقِها مِنَ الحِقْدِ والحسَدِ والغِلِّ ، واستشعارِ الفَقرِ والكَمَدِ علىٰ فَواتِ الحُظوظِ العاجلةِ وإلىٰ غيرِ ذٰلكَ . . يَسوسُونَ حالَهُم بالعلمِ ، ويَسلُكونَ طريقَ الرِّضاءِ بالقَضاءِ ، والتَّسليمِ لِمَا يُقدِّرُ المولىٰ ، فيَنكشِفُ عنهُم بعضُ ذٰلكَ ، ويَتنسَّمونَ الرَّوْحَ الَّذي يَزولُ بِظُهورِ تلكَ الأخلاقِ والصِّفاتِ ، أولٰئكَ يُنادونَ مِنْ مكانٍ بعيدٍ ، ولٰكنْ أقامُوا حقَّ العُبودِيَّةِ ، وأدَّوا وظِيفَةَ المَقامِ الَّذي أُقِيمُوا فيهِ .

وأمَّا المقرَّبونَ : فإنَّهم يَرونَ أنَّ تَشَبُّثَاتِ النَّفسِ عندَ حَرَكَتِها بظُهورِ أخلاقِها وصِفَاتِها إنَّما هو بِبَقايا الوُجودِ ، وقدْ عرَّفَهُم الحقُّ سُبحانَهُ وتعالىٰ طريقَ الفَناءِ والإستغراقِ والتَّستُّرِ بأنوارِ الفَضلِ الخاصِّ ، فيتَجَرَّدُونَ عن قَميصِ الوُجودِ ، ويَكْتَسُونَ ملابِسَ نُورِ القُرْبِ ، فلا يَتَطَرَّقُ إليهم تَشَبُّثَاتُ النَّفسِ ؛ فرَوحُهم دائمُ الإقبالِ في محلِّ القُرْبِ ، وهُم في الأرضِ أعزُّ مِنَ الكِبريتِ الأحمرِ .

فتوحٌ

[في تركِ الارتهانِ بالحقِّ والباطلِ]

مَنِ ارتَهَنَ بِحَقٍّ أو باطلٍ . . لا يصلُ إلىٰ صَفْوِ الرُّوحِ ؛ سواءٌ كانَ الِارتِهانُ مَوجُوداً في الحالَةِ الحاضِرَةِ ، أو غيرَ مَوجُودٍ في الحالةِ الحاضِرَةِ ، ولا يكونُ هٰذا إلَّا لعبدٍ ماتَتْ رَغبتُهُ في الدُّنيا والآخرةِ ، والمعنيُّ بالآخرةِ : أبوابُ البِرِّ ، وما يُتقَرَّبُ بهِ مِن صُوَرِ الخيرِ المتَعدِّي أو المُتَوهَّمِ تَعدِّيهِ ، سِوىٰ ما يَلزَمُ مِنَ العُبودِيَّةِ الصِّرْفَةِ ، إذاً الحقُّ يُعظِّمُه بالإقبالِ الدَّائمِ مِنْ غيرِ إدبارٍ .

فتوحٌ

[في الفَنَاءِ]

تُسَلُّ حقيقةُ العبدِ عن كِسْوَةِ وُجودِهِ كما يُسَلُّ السَّيفُ عن قِرابِهِ ، وتَهُزُّهُ يدُ الحالِ في فَضاءِ القُرْبِ ، وكلَّما تَحرَّكتِ النَّفسُ بِصفَتِها . . غاصَتْ[1] حقيقةُ العَبدِ في وُجودِهِ ، وكلَّما سَكنَتِ النَّفسُ . . تَجرَّدَ ، وعندَ تَجرُّدِهِ يَستَتبِعُ القالَبَ والحواسَّ ، ويَشمَلُ الظَّاهِرَ نورُ الباطنِ .

---

(١) في الأصلِ : (غاص) ، ولعلَّ الصَّوابَ ما أثبتُّ .

فتوحٌ

[في تدبُّرِ القرآنِ]

تَدَبُّرُ مَعانِي القُرآنِ قُوتُ القلبِ معَ صَلَابةِ النَّفسِ ، فإذا اطمأنَّتِ النَّفسُ . . صارَ تَدبُّرُهُ مَعانِيَ القرآنِ التَّأنِّي ، والوقُوفُ معَ معنَى القرآنِ قُوتُ النَّفسِ ، والقلبُ يَستَغرِقُهُ أنوارُ القُرْبِ ؛ فإنَّ النَّفسَ تَصِيرُ تُطِيعُ القلبَ ، والقلبَ يُطِيعُ الرُّوحَ .

فتوحٌ

[في سببِ العَناءِ والمكابدةِ للعبادةِ وسببِ زوالِهِ]

العبدُ في ذِكرِهِ وعِبادَتِهِ تَمُدُّهُ أنوارُ المشاهَدَةِ ، ولكنْ تُنازِعُهُ وجودَهُ ؛ فهو آنِسٌ باللهِ ساكنٌ إليهِ ، ولكنَّ الوجودَ مُنازِعٌ لهُ ، وعلىٰ قَدْرِ مُنازَعَةِ الوُجودِ يكونُ كَلُّ[1] العبادةِ ، فإذا تَسلَّطَت على القلبِ أنوارُ المشاهَدَةِ . . كفَّ الوُجودُ عنِ المنازَعَةِ ، وتَسلَّطَ باللهِ علىٰ وُجودِهِ ، وخَفَّ ولَطُفَ ، ولا يَبقَىٰ عَناءٌ ولا تَعَبٌ مِنَ العبادةِ ، ويكونُ علىٰ معنَىٰ قولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : « قُرَّةُ عَيْنِي فِي ٱلصَّلَاةِ »[2] ، ويَستَكمِلُ الروحَ حتَّىٰ لا يُحِسَّ بالعَناءِ رأساً ألبَتَةَ ، ويَسبَحُ في بِحارِ الرُّوحِ ما دامَ كذٰلكَ .

---

(١) الكَلُّ : الثِّقْلُ . « المصباح المنير » (ك ل ل) .

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٩) ، وأحمد في « المسند » (١٢٢٩٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

فتوحٌ

[في الفرقِ بينَ المحبّينَ والمحبوبينَ]

قال قدَّسه اللهُ :

المحِبُّ يَرى الحقَّ في الخلقِ في نِهايَةِ أمرِهِ ؛ فإنَّه يَرى الأشياءَ بالحقِّ ، إذِ الحقُّ بعدَ طُولِ المجاهَدَةِ رَوَّحَهُ بالمعرِفَةِ وكاشَفَهُ ؛ فتَجَلَّىٰ لهُ في صُوَرِ الأعمالِ والأفعالِ ، وكُلُّ فِعلٍ منهُ يُرىٰ ، وكُلُّ قولٍ منهُ يُسمَعُ .

والمحبوبُ الَّذي بادأَهُ الحقُّ بالمعرِفَةِ ، وكاشَفَه بالمشاهَدَةِ . . يَرى الخلقَ بالحقِّ ؛ ويُثبِتُ لهم وُجوداً ، ويَرىٰ منهم أفعالاً

فالمحِبُّ يَتَحبَّسُ في الحالِ بتَركِ اختيارِهِ ووُقوفِهِ مع اختيارِ الحقِّ ، والمحبوبُ يَبرُزُ مِنَ الحالِ ويُطلَقُ عن وَثاقِ الحالِ ؛ فكأنَّهُ يَتصرَّفُ في الحالِ ، لا الحالُ يَتصَرَّفُ فيهِ ، فلَا يَحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخلقِ ؛ كما لا يَحجُبُ الخلقَ عنِ الحقِّ[1] ، ويكونُ مِن طريقِ الذَّاتِ تَجلِّيهِ .

ولهٰذا المعنَى المحِبُّونَ إذَا رُوِّحُوا بعدَ طُولِ المجاهَداتِ بالمعرفة . . يتركونَ النَّوافِلَ ، ويَرَونَ أنَّهم وَصَلوا إلى الحقِّ .

والمحبُوبونَ يُردُّونَ في نِهاياتِهم إلىٰ أفعالِ بِداياتِهم ؛ ويرونَ النَّوافِلَ .

فما للمَحبوبينَ مِنَ الأفعالِ والنَّوافِلِ في النِّهايَةِ . . للمُحِبّينَ في البِدايَةِ ، وما للمُحِبّينَ مِن نَسَماتِ المعرفَةِ والمشاهَدَةِ في النِّهايةِ . . للمَحبوبينَ في البِدايةِ ؛ فنِهايَةُ المحِبّينَ بِدايةُ المحبوبينَ مِنْ حيثُ المعنىٰ ، ونِهايةُ المحبوبينَ هو بِدايةُ المحبّينَ مِنْ حيثُ الصُّورةُ ، ولٰكنَّ صورةَ عبادةِ المحبّينَ معبودٌ بِلا عبادةٍ ، وصورةَ عباداتِ المحبوبينَ عبادةٌ ومعبودٌ[2] .

---

(١) في (ب) : (لا يحجُبه) .

(٢) في (ب) : (ولٰكنَّ صورةَ عباداتِ المحبّينَ عبادةٌ بلا معبودٍ ، وعباداتُ المحبوبينَ عبادةٌ ومعبودٌ) .

فتوحٌ

[في الإلهاماتِ]

العبدُ في تَفرُّدِهِ بِربِّهِ استغرقَ فيهِ باطِنُهُ ، وأحرَقَتْ علومَ خَواطِرِهِ العلومُ[1] الصَّافِيةُ الإلهامِيَّةُ الَّتي مِنَ اللهِ ؛ فإنَّهُ تعَوَّضَ باللهِ عمَّا مِنَ اللهِ سبحانَهُ ، فإذا استَرْسَلَ بِحُكمِ وُجودِهِ البَشَريِّ في بعضِ أمورِهِ . . يَثُورُ[2] وُجودُهُ ، فإذا عادَ إلىٰ حالِهِ . . تَنعَكِسُ أنوارُ فَضلِ الحقِّ علىٰ وُجودِهِ الثَّائرِ ؛ فيَصيرُ ما ثارَ مِنَ الوُجودِ عُلوماً إلهامِيَّةً في أوَّلِ عَودِهِ إلى الحالِ ، فإذا تَوَسَّطَ الحالَ وغاصَ فيهِ . . ذابَتِ العلومُ وذَهبَتْ .

والعَجَبُ أنَّ هٰذه العلومَ يَعدَمُها في استِغرَاقِهِ ، ولا يَعدَمُ الإحساسَ بِجُزئِيَّاتِ الأمورِ الظَّاهِرَةِ الجاريَةِ في العاداتِ !

---

(١) كلمة (العلومُ) : ساقطةٌ من (أ) .

(٢) في (أ) : (تَنوَرَ) .

فتوحٌ

[في آثارِ تسلُّطِ أنوارِ الفضلِ على الباطنِ]

وقدْ تتَسَلَّطُ أنوارُ الفَضلِ على الباطنِ ، فيَمتَلِئُ القلبُ منها ، حتَّىٰ تَنْمَحِيَ آثارُ الوُجودِ وتَلْويثاتُ النَّفْسِ ، وقدْ يكونُ ذٰلكَ في جميعِ الأذكارِ والخلَواتِ ؛ وذٰلكَ لإكمالِ شُغْلِ القلبِ باللهِ وحدَهُ ، فإذا كانَ في الصَّلواتِ وفي غيرِها . . تكونُ التِّلاوةُ والقرآنُ الجاري على اللِّسانِ بمَنزِلَةِ الحَطَبِ في لَهيبِ النَّارِ فتَختَطِفُهُ النَّارُ ، فكذٰلكَ يَختَطِفُ[1] القلبُ المملوءُ مِنَ النُّورِ التِّلاوةَ والقرآنَ .

وكما أنَّ الحَطَبَ يَذهَبُ حَجْمُهُ ، ولا يَبقَىٰ إلَّا الرَّمادُ اليَسِيرُ . . فكذٰلكَ يَذهَبُ حَجْمُ الحُروفِ والكلماتِ وكيفُ القِراءةِ ، ولا يَبقَىٰ عندَ ذٰلكَ وَسْوَسَةٌ ألبَتَّةَ ، وكُلُّ حَرفٍ مِنَ القرآنِ يَقعُ على الوُجودِ كالجبلِ ، ويُفنِيهِ ويُذهِبُ آثارَهُ ، ويَنضافُ نورُهُ إلى النُّورِ الَّذي في القلبِ ، فيَزدادُ القلبُ نُوراً ، ويَزدادُ الوُجودُ تَلاشِياً ، وعندَ ذٰلكَ يَندَرِجُ الزَّمانُ في صِفاتِ الوقتِ ؛ حتَّىٰ لعلَّ القارِئَ والمصَلِّيَ كذٰلكَ يَختِمُ الخَتْمَةَ في أَدْنَىٰ زَمانٍ ، لا يُتَصوَّرُ ذٰلكَ في حقِّ غيرِ مَنْ هو بهٰذا النَّعتِ .

---

(١) في الأصل : (تختطف) علىٰ أن الفاعل هو التلاوة والقرآن .

فتوحٌ

[في الخواطرِ]

الخَواطِرُ لأربابِ القلوبِ ، وصاحِبُ القلبِ إذا صحَّ وتَمكَّنَ في حالِهِ . . يُمَيِّزُ بينَ الخَواطرِ الأربعةِ :

المَلَكِيَّةِ ، والشَّيطانِيَّةِ ، والنَّفسانِيَّةِ ، والإلٰهيَّةِ .

وصاحبُ القلبِ الَّذي هو حالُهُ : خَلَصَ مِنَ النَّفسِ الأمَّارةِ ، ولٰكنْ حُبِسَ بالقلبِ عنِ الحضرةِ الإلٰهيَّةِ ؛ لأنَّ للنَّفسِ وُجوداً ظُلْمانِيّاً ، وصاحبُ القلبِ فَنِيَ عنِ الوُجودِ الظُّلْمانِيِّ ، وهٰذا الفَناءُ فَناءُ الظَّاهِرِ ، ولٰكنْ هو المعوّقُ عنِ الحَضْرَةِ الإلٰهيَّةِ بالوُجودِ النُّورَانِيِّ ؛ وهو القلبُ ، فإذا خَلَصَ مِنَ القلبِ كما خَلَصَ مِنَ النَّفسِ . . خَلَصَ مِنَ الوُجودِ النُّورانِيِّ أيضاً ، ووَصلَ إلى اللهِ وصارَ مِنْ أربابِ الفَناءِ الباطنِ .

فصاحِبُ الفَناءِ الظَّاهِرِ تَجَلَّى لهُ الحقُّ سبحانَهُ بطريقِ الأفعالِ ، وصاحِبُ الفَناءِ الباطنِ لهُ تجلِّي الذَّاتِ ، فَصاحِبُ النَّفْسِ أَرْضِيٌّ ، وصاحِبُ القلبِ سَمَاوِيٌّ ، ومَنْ تخَلَّصَ مِنهُما . . فهو إلٰهِيٌّ ، وإذا صارَ مُخَلَّصاً مِنهُما إلٰهيّاً . . صارَتْ خَواطِرُهُ خَاطِراً واحِداً ؛ وذٰلكَ الخاطرُ هو مُطالَبَةٌ وُجودِيَّةٌ تَجذِبُه مِنَ الوُجودِ إلى الفَناءِ ، ولمْ[1] يَبْقَ لهُ تَنوُّعُ الخاطرِ ، فإذا عادَ إلى الوُجودِ . . تَنوَّعَتْ خَواطِرُهُ ، ولا يعودُ إلَّا إلى الوُجودِ النُّورانِيِّ .

وتَتَنوَّعُ خَواطِرُه بأنْ يكونَ لهُ خاطرٌ نَفْسانِيٌّ ، وخاطرٌ مَلَكِيٌّ ، ويَعدَمُ الخاطرَ الشَّيطانِيَّ والإلٰهيَّ .

---

(١) الواو ليست في الأصل ، وأضفتُه لضَرورةِ السِّياق .

أمَّا الشَّيطانِيُّ . . فَيَعدَمُهُ لأنَّهُ مُتَلبِّسٌ بِوُجودٍ نُورَانِيٍّ ، ولا طريقَ لإلقاءِ الشَّيطانِ إليه . وأمَّا الخاطرُ الإلـٰهيُّ يَعدَمُهُ لأنَّ الخاطِرَ رَسولٌ إلىٰ بَعيدٍ ، وهو قَريبٌ .

ويَبقَى الخاطرُ النَّفسانِيُّ ؛ لأنَّه مِن قَضايا وُجودِهِ ، والملَكِيُّ ؛ لأنَّهُ مِن قَضايا نُورانِيَّتِهِ .

والوجودُ رسمٌ ، والنُّورانِيَّةُ رسمٌ ، وللرَّسمِ اسمٌ ، ومعَ الفَناءِ وتَحقُّقِهِ فلا رسمٌ ولا اسمٌ .

فتوحٌ

[في معنىٰ : « قُرَّةُ عيني في الصلاةِ »]

سِرٌّ لاحَ في وضْعِ إليهنَّ[1] بِنُورِ الشَّمسِ والقَمرِ ؛ إذْ مَثابَةُ نُورِهِما مثابةُ نُورِ الشَّمسِ والقَمَرِ في الأرضِ السَّاطعِ مِنَ السَّماءِ ؛ الشَّمسُ بمثابةِ الرُّوحِ ، والقمرُ بمثابةِ القلبِ ، فإذا سَرَى النُّورُ ، واستَنارَ مَركزُ النَّفسِ الَّذي هو النِّصفُ الأسفَلُ . . فتَنقَطِعُ جَواذِبُ النَّفْسِ ، ولذٰلكَ يَذهَبُ كَلُّ العبادةِ ، وعلىٰ قَدْرِ بقاءِ ظُلمَةٍ يَسيرَةٍ في مَركزِ النَّفسِ يَبقَىٰ كَلُّ العِبادةِ ، فعندَ ذٰلكَ يُسَرِّحُ اليَدينِ ؛ إذْ لا حاجَةَ إلى المقاومَةِ ، ولا ضَرورةَ إلىٰ مَنعِ جَواذِبِ النَّفْسِ ، فلذٰلكَ قدْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي مُسْبِلاً[2] في بعضِ الأحايينِ عندَ استكمالِ النُّورِ ، فلَا يَبقَىٰ معَ التَّحقِيقِ ـ بمعنَىٰ سِرِّ الإسبالِ ـ وَسوسَةٌ ، ولا حديثٌ مِنَ النَّفْسِ ، ولا كَلُّ العِبادَةِ ، ولا إحساسٌ بالعَناءِ[3] ، وهي قُرَّةُ العَينِ المشارُ إليهِ في الصَّلاةِ[4] .

---

(١) يعني : القلبَ والرُّوحَ .

(٢) لعل الشيخ السهروردي يقصد إسبالَ اليدينِ وإرسالَهما في الصَّلاةِ ، وهو إطلاقُ المصلِّي يديه إلىٰ جانبَيهِ .

(٣) في الأصلِ (بالفَناء) ولعلَّ الصَّوابَ ما أثبتُّ .

(٤) تقدَّم تخريجه (ص ٧٤٨) .

فتوحٌ

[في بيانِ حلولِ النفسِ مَحَلَّ الروحِ]

أدامَ[1] اللهُ سبحانَهُ على العبدِ بحُسنِ الإقبالِ عليهِ ، وصِدقِ الإنابةِ إليهِ ؛ ممَّا يُنازِلُهُ في مَظانِّ القُرْبِ . . أن تَختَطِفَ رُوحَه وقلبَه أشِعَّةُ العَظَمَةِ ، وإنَّما اختَطفَتْها أشِعَّةُ العَظَمَةِ لكمالِ صِفاتِها ، وقُوَّةِ لَطافَتِها ، وما ألبسَها اللهُ سبحانَهُ ورَزَقَها اللهُ هٰذه اللَّطافَةَ إلَّا وقدْ خَلَعَ على النَّفْسِ خِلَعَ الطُّمأنِينَةِ ؛ بلْ غَشِيَتْهُ أنوارُ السَّكِينَةِ ، وانْتُزِعَ الجهلُ منها والظُّلمَةُ الجِبِلِّيَّةُ .

فلمَّا صارَتِ النَّفْسُ بهٰذه المثابَةِ . . لَمْ تَتَصاعَدْ منها البُرودَةُ واليُبوسَةُ الَّتي تُجمِّدُ القلبَ في مَحلِّهِ ، وتَمنَعُهُ مِنَ الِارتقاءِ إلىٰ مَحلِّ الرُّوحِ ، ولِتَسميةِ النَّفْسِ بإضافَةِ اليُبوسَةِ والبُرودَةِ . . سِرٌّ يطولُ شَرحُهُ .

فلمَّا انقطعَ مَدَدُ النَّفْسِ مِنَ الرُّوحِ ؛ لامتِلَائِها بما وهبَ لها المنَّانُ بعدَما كانَتْ فقيرةً طامِحَةَ العَينِ إلىٰ مَحلِّ القلبِ . . استَغنَتْ ، فلمْ تُزاحِمِ القلبَ ؛ فانحَلَّ القلبُ وذهبَ جُمودُهُ ، ولَطُفَ واختُطِفَ معَ الرُّوحِ ، فيَبقَى الجسدُ مَسكَناً للنَّفْسِ ، وصارَتِ النَّفْسُ رُوحَ الجسدِ ، وانتزعَ مِنَ الجسدِ الجُمودُ الَّذي كانَ فيهِ مِن بُرودَةِ النَّفسِ وحُمَّى الجسدِ ؛ لتَبَدُّلِ النَّفسِ في وَصفِها المكتسبِ للبُرودةِ ، ولانَتِ الجوارِحُ ، وصارَ الجسَدُ لِيّناً منقاداً ؛ مطيعاً مع النفس الَّذي صارَ رُوحَهُ ، وصارا في مَحَلِّ العبادةِ متلذِّذَينِ مُتنَعِّمَينِ ، والرُّوحُ والقلبُ عنهما بمَعزِلٍ ، ورُبَّما لا يُحِسَّانِ بعبادةِ الجسدِ[2] ؛ لِاستغراقِهما واستِهلَاكِهما وتَلَاشِيهما في أشِعَّةِ العَظَمَةِ ، وغابا عن وُجودِهما لِما

---

(١) في (ب) : (إذا منَّ) .

(٢) في (أ) بزيادةِ : (والنَّفسِ) .

غلبَ عليهِما مِن وُجودِ الحقِّ ، وغابا عنِ الحقِّ بالحقِّ ، وصارا معَ الجسدِ بين يَدَيِّ الحقِّ عالِمَينِ بالحقِّ عابِدَينِ للحقِّ ، ذٰلكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ[1] .

(١) إلى هنا ينتهي مخطوطُ : (أ) .

ومِنْ كلامِهِ رحمَهُ اللهُ :

إذا عاملَ اللهَ العبدُ بالصِّدقِ . . فَتحَ عليهِ أبوابَ العلومِ والإلهاماتِ ، ومِنْ أنفَعِ العلومِ مفتوحةً عليهِ ـ العلمُ بِمَنشَأ دُخولِ الإبتلاءِ عليهِ ؛ لأنَّهُ لا يزالُ يدخلُ مِن جِهَةِ النَّفسِ ؛ فبالعلمِ بدُخُولِهِ يأخذُ منهُ جِذْرَهُ ، ويكونُ دائِمَ اللَّجأ إلى اللهِ تعالىٰ ، وقدْ يُفتَحُ على العبدِ ضَربٌ مِنَ العلومِ الدَّقِيقَةِ الَّتي لا يُوجَدُ جِنسُها مَسطوراً ، غيرَ أنَّ أنفَعَها ما ذَكرناهُ .

ثمَّ للصَّادقِ ألَّا يَغْتَرَّ بما يُفتَحُ عليهِ وغيرُها ؛ بل لا يزالُ يَفِرُّ مِنَ الإلهامِ إلى المُلهِمِ ، ومِنَ العلومِ إلى المُعَلِّمِ ، ولا يَلتَفِتُ إلى الإلهامِ ؛ ليَتجَوهرَ الإلهامُ فيهِ ، وبِتَجَوهُرِهِ فيهِ يصيرُ قولُهُ فعلاً دائماً ، ومتَىٰ أصغَىٰ إلى الإلهامِ . . استَلَبَه الإلهامُ ، وسَلَّمَهُ إلى الفِكْرِ ، وانْحَجَبَ عن طَيِّ الغيبِ ، وانحطَّ إلىٰ عالَمِ الشَّهادَةِ ، وتَقَيَّدَ بإشاراتِ العُقولِ .

ثمَّ قالَ رحمةُ اللهِ عليه :

وطريقُ الزُّهدِ في الإلهامِ : أن تَعلَمَ أنَّ مَنشأَ الإلهامِ ماذا ؟

وهو أنَّ الصَّادِقَ قدْ يَسترسِلُ في المُخالَطَةِ والمُمازَجَةِ والخَوضِ فيما لا يَعنِي ، ومع ذٰلكَ لا يَغِيبُ عنِ الحقِّ بباطنِهِ ؛ فيثورُ مِنْ تلكَ المخالَطَةِ والمُمَازَجَةِ وجودُ النَّفسِ ، مُشَاكِلٌ للأَبخِرَةِ الثَّائرةِ مِنَ الأرضِ الَّتي يَتراكَمُ منها غَيْمٌ ، هٰكذا يصيرُ للنَّفسِ بالمخالطَةِ وجودٌ ثانٍ ، فإذا رجعَ الصَّادقُ إلىٰ خَلْوَتِه ، وتدبُّرِ جَمعِيَّتِهِ . . وقعَ نورُ الجمعيَّةِ علىٰ ذٰلكَ الوجودِ الثَّائرِ ؛ فيثورُ ، فيصيرُ إلهاماً ، فحقيقتُهُ حديثُ النَّفسِ مُنقَلِبٌ إلهاماً بنورِ الجمعيَّةِ للواقعِ عليهِ ، وهٰذه غريبةٌ عزيزةٌ .

والسّلام علىٰ من اتّبع الهدىٰ (١)

---

(١) خُتِمَ بها مخطوطُ (أ) أرجأتُها لمناسبةِ الخَتمِ بها .